أَلمَلامِحُ المُعْتَبَرَةُ فِي قِصَّةِ ذِي القَرْنَيْنِ كما وَرَدَتْ فِي سُورَةِ الكَهْفِ

أ.م.د. حسن كاظم أسد

كلية التربية – جامعة ميسان

فحوى البحث

(ذو القرنين) شخصية تمثل جانب الخير في من آتاهم الله– سبحانه –الملك والحكمة، وردت قصته في سورة الكهف المباركة كمثل أعلى لعبادة الله المتقين الشاكرين لنعمته. وقد تعرض البحث لقصته من خلال الأخبار والروايات المأثورة وماذهب اليه المفسرون وخلص البحث الى أن القرآن الكريم أبقى هذه الشخصية ومكان وزمان ظهورهما والاماكن التي ملكها، لغزاً تأريخياً جعل المؤرخين والجغرافيين يدلي كل بدلوه في الأمر وقد عرض الباحث لتلك الأراء من دون أن يبدي رأيه في أي منها. وحتى الأراء والتحليلات التي أوردها. اعتمد فيها –جميعا –المصادر التي تعرضت لذي القرنين. وقد جاء البحث في ثمانية مباحث وخاتمة.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد...

القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى، والمنزل على عبده ورسوله محمدﷺ بوساطة الوحي، وهو معجزة نبينا، وهي المعجزة الخالدة، ولن تنتهي حتى قيام الساعة، فقد تكفل الله بحفظها من التحريف والتبديل أو العبث، فقد انتهت كل معجزات الأنبياء بانتهاء عصورهم، كما أن معجزة القرآن الكريم تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين في كثير من زوايا الإعجاز، ففيه خصوصية أن العقل لا ينتبه إليه إلا بعد أن ينشط ويكشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره، فلذلك ما من جيل إلا ويكتشف سراً قد غاب عن الجيل الذي سبقه، حتى يكون حجة على الجيل المكتشف، فالمعرفة متدرجة بحسب النزول وبحسب الفهوم، وهي حكمة من الله سبحانه.

وتعددت أوجه الإعجاز فلم يقتصر على نمط واحد، بل إن للقرآن وجوها للإعجاز كثيرة فضلا عن كونه معجزة امتدت لتشمل البشرية جمعاء وفي كل العصور، وكلما ظهرت وجوه للإعجاز في عصر ظهرت أخرى بمشيئة الله على أيدي العلماء، والذي يهمنا في هذا البحث هو في إعجاز القرآن القصصي الذي تمثل في اسلوبه التعبيري ومدخليته في فهم المراد مع النظر في روائع الصور الكامنة التي يستجد اكتشافها، فالحركة في النص واضحة جلية يرسمها الله تعالى فيمنحها الحياة والحركة المتجددة، ذلك أن أسلوب القصص القرآني ذو خصائص امتاز بها عن سائر الأساليب فله في المعنى واللفظ ألوان من التوجيه، وفنون من الإيحاء والتعليم، كما أنه له- كما للقرآن الكريم كله -من الجدة التي لا تبلى، وتلك الروعة التي لا تزول.

فقد قص الله تعالى في القرآن الكريم قصصا للأنبياء والمرسلين وما دار بينهم وبين أقوامهم، وما حدث من وقائع وأحداث في زمانهم، قصها علينا

بأساليب متنوعة يتحقق بها إعجاز القرآن الكريم، وإن المتأمل والمتدبر في آيات القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر كثير من الأنبياء في أكثر من سورة وأكثر من موضع، ومن بين تلك القصص التي يفاد منها العبر والموعظة هي قصة ذي القرنين، إلا أن سورة الكهف تشير إلى ثلاث قصص (قصة أصحاب الكهف، قصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين) لم تكرر في أي موضع آخر من القرآن الكريم، حيث أن هذه القصص بخلاف أغلب القصص القرآنية لم تكرر في مكان آخر من القرآن إلا في الآية (٩٦) من سورة الأنبياء حيث أشارت إلى يأجوج ومأجوج من دون ذكر ذي القرنين. وهذه الإشارة تعدُّ واحدة من خصائص هذه السورة المباركة. فقد تناولت هذه القصة أخبار الماضين للاتعاظ وأخذ الدروس والعبر، والملاحظ في السرد القصصي القرآني أنه حينما يسرد قصة ذي القرنين لم يتعرض إلى تفاصيل حياته بل اكتفى بذكر ثلاث رحلات منه، ولم يذكر أسماء الأماكن أو تحديد الأزمنة التي دارت عليها وفيها أحداث القصة، كما انه لم يصرح باسمه الصريح، ففي عدم ذكر الاسم الصريح في القصة والاكتفاء باللقب دليل على المكانة المقبولة لذي القرنين، كما أن العبرة في هذه القصة تتحقق من دون الحاجة إلى تحديد الزمان والمكان.

لهذا أقدم هذا البحث لأبين حقيقة الاعتبار في القصص القرآني وأسراره وفوائده، وتأسيسا على ذلك قسمت البحث على مباحث وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: القصة في القرآن

القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق -إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها[1].

(١) ينظر: التصور الفني في القرآن، سيد قطب: ص١٤٣، دار الشروق، بيروت.

وقد سمى القرآن الكريم الوقائع التي حدثت في الماضي قصصاً لأن القصة مشتقة من القص وهو تتبع الأثر[٢].

قال تعالى ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [سورة القصص: ١١]، أي تتبعي آثاره على ما أنتهى إليه أمره ومن هذا قولهم قص الأثر أي نظر فيه واقتفى أثره واقتصصته وتقصصته وخرجت في أثر فلان قصصاً وجاء في القرآن ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [سورة الكهف: ٦٤]. وقص عليه الرؤيا والحديث قال تعالى ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴾ [سورة يوسف: ٥].

فالقص للأثر مثل البصمات ليستدل منها على ما وراءها من أحداث مضت وليمسك بما يقدر على إمساكها منها[٣].

ولم يكن القرآن كتاب قصص وإنما يذكر القصة بقدر ما تقدم من أغراض دينية فلا يصح حينئذ أن يؤخذ عليه أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافها[٤].

فالقصة القرآنية هي من قبيل الإخبار عن الأحداث التي يعد الزمن بها واندثرت أو كادت أن تندثر فهي من أنباء الغيب وحين ننظر إلى القصص القرآني نجد أنه يجيء بمادته كلها من الماضي البعيد دون أن يكون فيه شيء من واقع الحال أو من متوقعات المستقبل[٥].

والقصة القرآنية تزيد المسلم بصراً بدينه وثباتاً على إيمانه والثقة بوعد الله تعالى ويقوم القرآن بشرح مصائر الكافرين وعاقبة المتقين كي ينشرح صدر المؤمن ويزداد إيماناً على إيمانه وليعلم أن الإنسان مهما عظم فهو عبد الله وأن قوة البشر جميعاً لا تعني شيئاً أمام القوة الإلهية المطلقة وأن ثقافات الدنيا بأكملها لا تغني عن دين الله[٦].

والقصص القرآني لون من ألوان

(٢) ينظر: لسان العرب لأبن منظور، مادة قصَّ.
(٣) ينظر: القصص القرآني، عبد الكريم خطيب: ص ٤٤.
(٤) ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد بدوي: ص٢٧٧.
(٥) ينظر: الفن القصصي: محمد أحمد خلف الله، مكتبة النهضة: ص ٧٨.
(٦) ينظر: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، حنفي محمد شرف: ص٢٨٧.

الإعجاز القرآني والقصة القرآنية لم تكن سرداً لأحداث الماضي بل هي عبرة واعتبار وبيان حقائق الإسلام الأساسية فنجد أن القصة القرآنية بيان لعقيدة التوحيد والنبوات والمعاد والنظر في قصة سيدنا إبراهيم(عليه السلام) يثبت لنا أن القصة القرآنية هي قصة عقائدية ذات أهداف وأغراض دينية، والقصص القرآني كما قلنا سر من أسرار الإعجاز ومقصد من مقاصده الشريفة فقد أشتمل على فصول عدة من الأخلاق الفاضلة والمحاسن النبيلة فهو يهذب النفوس ويجمِل الطباع وينشر الحكمة والآداب بين الناس أجمعين وأيضاً يشتمل على طرق شتى في التربية والتهذيب تساق مساق الحوار طوراً وطوراً مسلك الحكمة والاعتبار وتارة مذهب التخويف والإنذار كل هذا قصه الله بأسلوب بيِّن وقول حكيم وافتنان عجيب كما هي طريقة القرآن في كل سورة ليدل الناس على الخلق الفاضل والسلوك القويم ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح ويرشدهم إلى العلم النافع بأحسن بيان وأقوم سبيل وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكونه من طرق التعليم ونبراسهم المضيء فيما يصطفون من وسائل للإرشاد (والقصص القرآني فن بالغ الروعة والإعجاز وجاء بأسلوب لم ولن يكون له مثيل وأسلوبها المعجز أسبغ عليها من روعة التشبيهات ما جعلها فريدة في نوعها)[٧].

وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها وفي طريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية وظهرت آثار هذا الخضوع في سمات معينة منها التصوير الفني[٨].

المبحث الثاني: منهج القصة القرآنية

القرآن الكريم كتاب فذ فريد في كل ما يتعلق به من أسلوبه وبلاغته إلى موضوعاته وتشريعاته. ومنهجه متميز في الأداء (فالمنهج القرآني في تناول القصة يختلف عن المناهج البشرية فهو منهج يقوم على الصدق التاريخي ومنهج

(٧) القرآن والقصة الحديثة، محمد كامل حسن: ص٨، دار البحوث العلمية -بيروت.
(٨) ينظر: التصور الفني في القرآن، ص١٤٣.

الحق المبين منهج حي متجدد في التعبير عن حركة الواقع ودلالاته في حياة الإنسان والمجتمع)[٩].

فقصص القرآن ذات منهج خاص وذات طابع فريد في العرض والبناء والصور البيانية والمستوى النغمي والدلالي والمضامين، فنرى تحذير الله تعالى المؤمنين من خطر انفصالهم بالتفكير الخيالي عن واقع هذا الانفصال الذي يغتربون به عن سنن الله ويقعون به في وهم القدرة على تغيير خلق الله أو التجني لهذا التغيير من داخل انشقاقات أنفسهم وانشطار رؤيتهم وذلك حيث يقول القرآن الكريم على لسان الشيطان في عمله الذي ينفصل فيه فكر الإنسان المهزوم عن واقعه الجلي ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[سورة النساء: ١١٩].

(وبهذا المنهج المبين في القصة القرآنية نستطيع أن نحيا مرة أخرى حياتنا الصحيحة بعزائم الإيمان وحقائق القرآن وثمرات العدل والعلم على هذه الأرض الخيرة نفسها لصحوها الدائم وواقعها المشمس ومداها البعيد ورؤيتها الجلية متطهرين من دسائس العدو ومن أساطير آلهته ومن كهانات فكره ومن ثمالات خمره)[١٠].

ومن مميزات المنهج القرآني: هو عرض الأحداث التاريخية بلا تزوير أو زيف أي أن القرآن أكبر وثيقة تاريخية تشكل واقعية القصص القرآني التي جاءت من بطن الغيب ليحقق بها صدق الرواية وواقعيتها الحقه ويعارض بها روايات العبرانيين وأهل الكتب ويقص ما كان من أقوام مضت من مواقف إزاء الرسل والدعوة إلى الإيمان فبنيت بناءاً محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[١١].

(٩) قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم: ص٢١١، دار الجيل -بيروت.

(١٠) قصص القرآن في مواجهة الرواية والمسرح، ص٢١١.

(١١) ينظر: من علوم القرآن، ص٢٠١، والآية ٣ من سورة يوسف.

ومن خصائص المنهج في القصص القرآني أنك ترى تدبيراً عجيباً معجزاً في توزيع المشاهد القصصية توزيعاً محكماً متوازناً بين الحدث والشخصية فلا تجد موقفاً تستأثر به الشخصية دون الحدث ولم يحدث العكس أيضا فالأشخاص ليسوا مقصودين في القصة لذاتهم وإنما كنماذج في مجال الصراع بين الخير والشر والحق والباطل والكفر والإيمان.

إن التفاعل جدلي بين الأحداث والشخصيات والحركة بينما هو عنصر من عناصر المنهج القرآني في القصة القرآنية. ومن مزايا المنهج القرآني في إيراد القصة إنه منهج واقعي صادق بعيد عن الزخرفة الكاذبة والتزويق اللفظي والقصص الخيالي الكاذب فالصدق التاريخي والصدق البياني هو منهج قصة القرآن الكريم وهدفها العبرة والعظة فالقصة القرآنية محكمة المنهج محكمة البناء محكمة المضمون رائعة الأهداف إنسانية الأغراض شريفة المقاصد[١٢].

(١٢) ينظر: التعبير الفني في القرآن، بكري الشيخ أمين: ص٢٣٢.

المبحث الثالث:

التناسق الفني في عرض قصة ذي القرنين

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في مقدمة كتابه (القصص القرآني) في منطوقه ومفهومه (فهو «الفصص القرآني» في موضوعه نسيج من الصدق الخالص وعصارة من الحقيقة المصفاة لا تشوبه شائبة من وهم أو خيال. إنه يبنى من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه وهذا الواقع لا يتغير وجهه حين يعرض هذا العرض المعجز من ذلك الأسلوب القرآني الرائع فالإعجاز والروعة إنما يتجليان في صدق الأداء وفي نقل الواقع وما يلبس به من سرائر النفوس وخلجات الصدور وأنه ليس النقل الفوتوغرافي الذي يقف عند السطح ولا يتجاوز شيئاً مما وراءه من أبعاد وأعماق بل هو نقل حي للأحداث حتى كأنها تتجدد في الزمان والمكان اللذين حملاها فتظهر كأنها في ساعة ميلادها لا يختلف يومها عن أمسها ولا يفقد من يشهدها اليوم شيئاً مما شهده منها

الشاهدون بالأمس)[١٣].

من نص الأستاذ الخطيب نفيد أن قصص القرآن حق لا يأتيه الباطل ولا تثار حوله الظنون حتى لو لم نعثر على ما يؤيده في سجلات التاريخ المكتوب فالبشرية لم يُحتفظ بكل سجلاتها كما هو معروف (فمثلاً لا تكاد تعثر في سجلات مصر القديمة على أية إشارة لقصة موسى والخروج ولكن ليس معنى ذلك إن القصة غير حقيقية وإنما معناه أن السجلات غير موجودة أو غير مكتوبة أصلاً)[١٤].

فنحن نجد الإعجاز القرآني التاريخي في قصة ذي القرنين، والتي سندرسها بالتفصيل لاحقاً. فالتناسق الفني والموضوعي واضح في هذه القصة العجيبة التي لم يعرفها رسول الله ﷺ وإنما هو سؤال وُجِّه له من قبل أحبار اليهود وكبار مشركي العرب ليحرجوه ولكن الله تعالى كان في عون نبيه الكريم وتكفل الله تعالى الإجابة عن سؤالهم فقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ

(١٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه عبد الكريم الخطيب: مقدمة الكتاب.

(١٤) دراسات إسلامية في التفسير والتاريخ، محمد العزب موسى: ص٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت.

عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾[سورة الكهف: ٨٣ -٩٨].

هذه هي قصة ذي القرنين كما رسمتها الريشة المبدعة التي صاغت القصص القرآني فالقصة جاءت مشحونة بالأحداث المتحركة والشخصيات المؤمنة والمنحرفة والصراع بين الشر والخير والحق والباطل وانتصار الحق في نهاية المطاف الذي كان أمراً لابد منه.

فقصة ذي القرنين في القرآن جاءت محكمة البناء وهي وصف لرحلات ثلاث إلى الشرق والى الغرب والى الوسط قام بها رجل يسمى ذا القرنين. لكن الجو الغامض الذي أحيط بهذه الرحلات وتراءى غموضه كالمقصود في القرآن، يلوح بالمعاني الغيبية من وراء ستار، فقد بلغ ذو القرنين هذا مغرب الشمس في رحلته الأولى ومشرقها في رحلته الثانية والمنطقة المتوسطة وبين السدين في رحلته الثالثة[١٥]، وفي رحلته الغربية وجد الشمس تغرب في عين حمئة كثيرة الطين اللزج في موضع تكثر فيه المياه والأعشاب وقد سكت القرآن عن تحديد تلك العين الحمئة فألقانا الغموض المقصود في تجهيل شديد وبما كان يفوق سرية الأمور المسماة بالغيبية[١٦].

وفي رحلته الشرقية وجد الشمس تطلع على قوم لا ستر لهم دونها فربما أفاد هذا أن القوم كانوا عراة وربما أشار إلى أن أرضهم مكشوفة تطلع الشمس عليهم فيها بلا ساتر وليس في النص ما يقطع بأسماء القوم ولا باسم الأرض التي كانوا فيها ينزلون.

أما رحلته المتوسطة بين السدين فكل ما فيها يدعوا إلى الرهبة الشديدة التي يفوق الشعور بها أحياناً شعور التهيب لدى مواجهة الغيب وأسراره فالقرآن هنا يكرر موصوفاً بعينه يسميه بين السدين مثلما يذكر قوماً بأعيانهم يسميهم يأجوج ومأجوج ووصفهم

(١٥) ينظر: تفسير الميزان: ج١٣، ص٣٧٨.

(١٦) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري: ج١٦، ص١٧.

بالإفساد في الأرض وما نظن هذه الألوان من الغموض إلا مقصودةً في هذا السياق[١٧].

إن حديث القرآن عن ذي القرنين لا يشبه حديث كتاب في السيرة عن الفتوحات التي أتمها فاتح عظيم وإنما يرسم القرآن بتصوير فني فائق وبريشة مبدعة في غضون هذه الرحلات الثلاث ملامح إنسان شديد الصلة بالله لم يكن سلطانه بقوته الشخصية بل مكن الله له في الأرض وأتاه من كل شيء سبباً وهتف به أو ألهمه أو أوحى إليه كما يريد في الملمات ليوجه أفضل الوجهات حتى قال له عند العين الملتئمة ﴿ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾.

وتبدو صلة ذي القرنين بالله تعالى في قوله للقوم عند بناء السد ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [سورة الكهف: ٩٦]، ثم قوله عند انتهائه من هذا البناء ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ هذه قصة ذي القرنين العجيبة في كتاب الله. أما الحبكة الظاهرة في القصة فقد حوت المباني القليلة المعاني الكثيرة والصراع موفور بين ثنايا القصة بين الشر والخير والشخصيات والأحداث متوازنة ومتساوقة والحوار يلفت النظر حوار العبد مع أخيه[١٨].

المبحث الرابع: من هو ذو القرنين

في الآيات البينات المذكورة آنفا يحدثنا القرآن الكريم عن ذي القرنين ويحكي وقائع محددة قام بها ويقص عن أناس التقى بهم وأماكن ذهب إليها فمن هو ذو القرنين... أول ما يتبادر إلى الذهن هو تحديد معنى الاسم ماذا يعني ذو القرنين؟. أو صاحب القرنين؟.

إن لفظة قرن لها أكثر من معنى فهي تدل على:

١. القرن بمعناه الحرفي كالذي يحمله الكبش أو العجل.

٢. القرن بمعنى الطرف الذي يواجه طرفاً آخر كأن نقول قرنا الهلال أي

(١٧) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١٣، ص٣٨٨.

(١٨) ينظر: التصور الفني في القرآن، فصل القصة، أنظر التعبير الفني فصل الفقه.

طرفاه المدببان.

٣. الريشة الزخرفية التي يضعها الملوك في تيجانهم.

٤. حقبة زمنية مدتها ١٠٠ سنة وقد تعني كذلك العصر والجيل[١٩].

وقد ذكر المفسرون وجوهاً في سبب تسميته بذي القرنين:

١. سمي بذي القرنين لأنه ملك قرني الأرض المشرق والمغرب.

٢. سمي بذي القرنين لأنه أنقرض في وقته قرنان من الناس.

٣. سمي بذي القرنين كان على رأسه ما يشبه القرنين.

٤. كان لتاجه قرنان.

٥. عن النبي ﷺ أنه سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها.

٦. سمي بذلك لأنه كان له ضفيرتان[٢٠].

٧. قيل أنه حكم قرنين من الزمان[٢١].

وجاء في التسهيل لعلوم التنزيل (السائلون اليهود أو قريش بإشارة اليهود وذو القرنين هو الأسكندر الملك وهو يوناني وقيل رومي وكان رجلاً صالحاً وقيل كان نبياً وقيل كان ملكاً (بفتح اللام) والصحيح أنه ملك بكسر اللام وأختلف في تسمية ذا القرنين فقيل كان له ضفيرتان من شعرها قرناه فسمي بذلك وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرني الدنيا)[٢٢]، وقد ذكر محمد ابن إسحاق سبب نزول هذه السورة فقال حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط إلى أحبار

(١٩) ينظر: دراسات إسلامية، محمد العزب موسى: ص١٢.

(٢٠) ينظر: النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، نعمة الله الجزائري: ص١٧٩-١٨٠.

(٢١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج٧، ص٥٨٤.

(٢٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، الطبعة الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٣ -١٩٨٣م، المطبعة: لبنان -دار الكتاب العربي، الناشر: دار الكتاب العربي: ج٢، ص١٩٥.

يهود المدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وَصِفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول اللهﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال فقالوا لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقوِّل تروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟. وسلوه عن الروح ما هو؟. فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل منقول فأصغوا في أمره ما بدا لكم فأقبل النضر وعُقبة حتى قدما على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاء رسول اللهﷺ فقالوا يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمرهم به فقال لهم رسول اللهﷺ أخبركم غداً عما سألتم عنه ولم يستثن، أي: لم يقل إلا أن يشاء الله، فانصرفوا عنه ومكث رسول اللهﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً ولايأتيه جبرائيلعليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه وحتى أحزن رسول اللهﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيلعليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبة إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطَّواف والروح[٢٣].

والنص القرآني لا يذكر شيئاً عن شخصية ذي القرنين ولا عن زمانه أو مكانه وهذه هي السمة المطردة في

(٢٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ج٣، ص٧٦، وينظر: في ظلال القرآن: ج١٦، ص٧ -٨، وينظر: أسباب النزول، الواحدي ولباب النقول للسيوطي: ص١٤٣.

قصص القرآن فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود إنما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة والعبرة تتحقق بدون حاجة إلى تحديد الزمان والمكان في أغلب الأحيان(٢٤).

فالإسكندر الإغريقي ليس موحدا، بل هو مشرك ووزيره أرسطاطاليس، اما ذو القرنين المذكور في القرآن فهو مؤمن بالله موحد معتقد بالبعث والآخرة، الذي ذكره الله في القرآن اسمه: عبد الله بن الضحاك بن معد، قاله ابن عباس، ونسب هذا القول أيضا إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام(٢٥).

والواضح من قصة ذي القرنين في سورة الكهف أن ذا القرنين المذكور في القرآن، عاش قبل الإسكندر المقدوني بمئات من السنين فليس هو هو بل هو أحد الملوك الصالحين من التبابعة الأذواء من ملوك اليمن، وكان من شيمة طائفة منهم التسمي بذي كذي همدان وذي غمدان وذي المنار وذي الأذعار وذي يزن وغيرهم. وكان مسلما موحدا وعادلا حسن السيرة وقويا ذا هيبة وشوكه، ولكن قوته وقدرته وحكمته كانت جميعاً هبة من الله الذي أرشده إلى فعل ما يفعل(٢٦).

وأختلف العلماء في وظيفته هل عبد صالح وكفى أم نبي مرسل ومن قال بنبوته أحتج ببعض الأدلة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ والأولى حمله على التمكين في الدين والتمكين الكامل في الدين هو النبوة وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ وهذا يدل على أن الله تعالى آتاه من النبوة سبباً والثالث قوله تعالى: ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، والذي يتكلم الله معه لابد وأن يكون نبياً ومنهم من قال إنه رجل صالح حكم بالحق والعدل وما كان نبياً(٢٧).

(٢٤) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب ج١٦، ص٨.

(٢٥) ينظر: عمدة القاري، العيني: ج١٥، ص٢٢٣، وينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ج١٦، ص٨.

(٢٦) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١٣، ص٣٨٨، وينظر: دراسات إسلامية، محمد العزب موسى، ص١٢.

(٢٧) ينظر: النور المبين في قصص الأنبياء=

المبحث الخامس:

الإيمان والسلطان في شخص ذي القرنين

جمعت قصة ذي القرنين بين العلم والعمل، والحكم والعدالة؛ والقول والفعل؛ والرأي والشورى؛ والقانون والدستور؛ والصبر والحكمة؛ والسلطة والوجاهة، والقوة الروحية والمادية، فقد كانت شخصية ذي القرنين ببن الحاكم العادل والعالم العامل، إلى جانب ورعه وتقواه وخوفه من الله تعالى، وحثه على نشر قيم العدالة بين الناس يستخدم القوة في التعمير والإصلاح، ولا يستغل فتوحاته وسيلة في التجبر، فقد تحمل أعباء السفر ليخدم الناس ويتفقد أحوالهم ويبث فيهم روح العمل، فقد مكن الله لذي القرنين في الأرض فأعطاه سلطاناً وطيد الدعائم ويسر له أسباب الحكم والفتح وأسباب البناء والعمران وأسباب السلطان والمتاع وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة[٢٨].

فذو القرنين رجل مؤمن موحد مؤمن بالله واليوم الآخر وإيمانه وصل إلى درجة اليقين فهو عبد من عباد الله الصالحين أحب الله فأحبه الله ونصح لله فنصح له[٢٩]، وفي الخبر قال (حدثنا علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي قال: حدثنا أبي، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه محمد بن خالد باسناده رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن-داود عليهما السلام وذو القرنين، والكافران نمرود وبختنصر، واسم ذي القرنين عبد الله بن -ضحاك بن معد)[٣٠].

فقد كانت مهمته الشكر لله تعالى وإنقاذ المستضعفين والمظلومين، وعندما

=والمرسلين، الجزائري، ص١٨٠، وأنظر: تفسير الرازي: ج٢١، ص١٦٥.

(٢٨) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ج١٦، ص١١-١٤.

(٢٩) ينظر: الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي: ج٢، ص٧٤١، وينظر: النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: ص١٦٥.

(٣٠) الخصال، الصدوق: ٢٥٥، وينظر: لبداية والنهاية، ابن كثير: ج٢، ص١٦٢.

وجده الناس فاتحاً قوياً وتوسموا فيه القدرة والصلاح عرضوا عليه أن يقيم لهم سداً في وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاضرين ويغيرون عليهم من ذلك الممر فيعيثون في أرضهم فساداً ولا يقدرون على دفعهم وصدهم وذلك في مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم.

وتبعاً للمنهج الصالح الذي اتبعه وأعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد في الأرض فقد رد عليهم الذي عرضوه من المال وتطوع بإقامة السد ورأى أن أيسر طريقة لأقامته هي ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين فهو قائد دفاع رباني نفذ أوامر الله في إقامة إمارات العدل والحق ودفع الظلم والاستعباد ومن خلال رحلاته الثلاث يمكن أن نطلع على منهجه في الحياة وهو أن القوة يجب أن تستخدم في خدمة الناس وإرضاء رب العالمين ولا تستخدم في الطغيان والجبروت وما يسمى بحق الفتح[٣١].

ففي الرحلة الأولى عفى ذو القرنين عن الأبرياء من القوم الذين يعيشون بالقرب من العين الحمئة وفي الرحلة الثانية لم يتدخل في شؤون القوم الذين ليس لهم ستر من دون الشمس وفي الرحلة الثالثة ساعد القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا على إقامة سد بينهم وبين أعدائهم دون أن يتقاضى على ذلك خرجا، بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ استغناء من ذي القرنين عن خرجهم الذي عرضوه عليه على أن يجعل لهم سدا يقول: ما مكنني فيه وأقرني عليه ربي من السعة والقدرة خير من المال الذي تعدونني به فلا حاجه لي إليه[٣٢].

وهذا هو الدرس الروحي والعبر والدلالات التي تفهم من الآيات الكريمة والذي يمكن أن يفهمه الجميع بدون حاجة إلى معلومات تاريخية أو جغرافية أو علمية فالقرآن الكريم ليس كتابا في التاريخ أو في الجغرافية أو في العلوم ولكن ما فيه هو الحق الصراح

(٣١) ينظر: دراسات إسلامية في التفسير والتاريخ، محمد العزب موسى: ص٢٢.

(٣٢) ينظر: الميزان، السيد الطباطبائي: ج١٣، ص٣٦٤.

الذي كلما زادت معلوماتنا التاريخية والجغرافية والعلمية، أزددنا منها لدراسته ومعانيه وحقائقه. فالواجبات التي نهض بها هذا الفاتح العظيم هي واجبات دينية للإصلاح وبناء المجتمع الفاضل الذي يؤمن بالقيم والمثل العليا فكل واجبات السلطان الإلهي قام بتنفيذها ومنها:

١. الفتح وتحرير العباد والبلاد من أعداء الله المتكبرين والمتجبرين.
٢. نشر السلام والخير والأمان في ربوع الأرض.
٣. حماية المستضعفين والأبرياء من ظلم الظالمين وجور الجائرين.

فالمسؤوليات الملقاة على القائد الرباني:

١. هي إقامة الشعائر الدينية والعبادة لله وحده.
٢. الأمر بالمعروف وإشاعة الخير والصلاح في المجتمع.
٣. النهي عن المنكر ومكافحة كل ألوان الفساد والانحراف والظلم والزور.

تلك هي مهمة ذي القرنين فهي وظيفة البناء في التعبير والبناء والعمل الصالح.

المبحث السادس:

مقاومة الظلم والفساد من أهدافه المقدسة

قلنا في المبحث الخامس أن مهمة ذي القرنين هي مهمة ربانية في الفتح المقدس والتغيير وحماية الإنسان من الطغاة والغزاة فرسالته رسالة كبرى تصل إلى درجة الأنبياء عليهم السلام الذين قاموا برسالة التغيير في هذه الأرض على مر التاريخ، فالظلم حاربه القرآن حرباً لا هوادة فيها فالظالمون يذكرهم القرآن ويوعدهم بالنار والجحيم فليس لهم ناصر ولا شفيع ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[سورة البقرة: ٢٧٠]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [سورة غافر: ١٨]، أعد لهم العذاب الأليم ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٢]، ولهم مثوى السوء ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥١]، ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [سورة غافر: ٥٢]، اليأس من رحمة الله ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٤٤]، سرادق من النار تحيط بهم ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا

لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[سورة الكهف: ٢٩].

فهؤلاء الظالمون كافحهم الأنبياء والمرسلون وكان ذو القرنين مكافحاً عنيداً لهؤلاء المجرمين في الأرض فقد توكل على الله وسار وطاف في شرق الأرض وغربها وكان فاتحا عظيما نشر رسالة التوحيد في الأرض وحكم بالقسط وحارب الظلم وانتصر على الظالمين بإيمانه المطلق وتوكله على الله وحده لا شريك له أما الفساد فقد حرمه الله في كتابه المجيد وقال ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [سورة الأعراف: ٥٦] فالحديث عن ذي القرنين في القرآن لا يشبه ولا ينبغي أن يشبه حديث كتاب السيرة عن الفتوحات التي أتمها فاتح عظيم وإنما يرسم القرآن في غضون هذه الرحلات الثلاث ملامح إنسان شديد الصلة بالله لم يكن سلطاناً بقوته الشخصية بل مكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سببا وهتف به أو ألهمه أو أوحى إليه كما يريد في الملمات ليوجهه أفضل الوجهات حتى قال له عند العين الحمئة ﴿ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾[٣٣].

وتبدو صلته بالله شديدة، وثق في قوله للقوم عند بناء السد ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ثم قوله عند أنتهائه من هذا البناء ﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [سورة الكهف: ٩٨].

وقد خلط بعض المفسرين بين ذي القرنين المتدين المؤمن هذا والإسكندر المقدوني الوثني المشهور[٣٤].

(٣٣) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١٣، ص٣٨٩، والآية ٨٧ من سورة الكهف.

(٣٤) ينظر: سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي: ج٢، ص٣٤٨، وينظر: السيرة الحلبية، الحلبي: ج١، ص٢٥٨، وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ج٢، ص٢٩٩، الذي شبه له أن الإسكندر الإغريقي هو ذو القرنين، ولك النص ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ ﴾ يعنى الإسكندر قيصر)، وينظر: تفسير القرطبي: ج١١، ص٤٥، وتفسير البيضاوي: ج٣، ص٥١٩، ينظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي: ج٢، ص١٩٤،=

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام إنه سئل عن ذي القرنين، فقال: سخر له السحاب وقربت له الأسباب وبسط له في النور فقيل له كيف بسط له في النور فقال كان يضئ بالليل كما يضئ بالنهار و أن يبلغ المشرق والمغرب فقال سخر الله له السحاب ويسر له الأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء، وأنه رأى في المنام كأنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنها في شرقها وغربها فلما قص رؤياه على قومه وعرفهم، سمَّوه ذا القرنين فدعاهم إلى الله فأسلموا[٣٥].

وشتان بين الكفر والإيمان وبين الحق والباطل فرسالة الأنبياء والمرسلين والصالحين من الناس هي محاربة الظلم والقضاء على الفساد وهذا ما شرحه القرآن بدقة وأمر به في كل المناسبات، فذو القرنين في منطق القرآن نموذج طيب للحاكم الصالح الذي مكن الله له في الأرض ويسر له الأسباب فاجتاح الأرض شرقا وغربا ولكنه لم يتجبر ولم يتكبر ولا طغى ولا تبطر شأن الطغاة الذين يحكمون الناس بالظلم والبغي ولم يتخذ ذو القرنين من الفتوح وسيلة للغنم المادي واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان.

ولم يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق لأنه كان محرراً لا فاتحا مستغلا للشعوب ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه إنما ينشر العدل في كل مكان ويحارب الظلم في كل مكان يحل به ويساعد المتخلفين ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح ودفع العدوان وإحقاق الحق ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضل الله ولا ينسى وهو في آيات

=وينظر: تفسير الجلالين، السيوطي: ٣٩٣، وينظر: تفسير الثعالبي: ج٣، ص٥٤، ينظر: فتح القدير، الشوكاني: ج٣، ص٣٠٧.

(٣٥) ينظر: الخرائج والجرائح -قطب الدين الراوندي: ج ٣، ص ١١٧٤ -١١٧٥، وينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل -الزمخشري -ج٢- ص٤٩٧، وينظر: التفسير الصافي- الفيض الكاشاني -ج٣، ص٢٦٠-٢٦١.

سطوته قدرة الله وجبروته وأنه راجع إلى الله[٣٦].

وهو في كل تصرفاته وأعماله العظيمة التي قام بها يثبت أن هدفه ليس المجد الشخصي أو إذلال الشعوب بالقوة الغاشمة وإنما أن يعيش ويترك غيره يعيش أي أن المثل الأعلى الذي يحركه هو إرضاء الله تعالى وليس مجرد السيطرة[٣٧].

المبحث السابع:

يأجوج ومأجوج في التاريخ

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

قال الأخفش من همز (يأجوج) فجعل الألفين من الأصل يقول يأجوج ويفعول ومأجوج مفعول كأنه أجيج النار قال ومن لا يهمز ويجعل الألفين زائدتين يقول: ياجوج من يججت وماجوج من مججت وهما غير مصروفين[٣٨].

وفي قوم يأجوج وماجوج روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ولد نوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد لحام القبط والبربر والسودان)[٣٩]، وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أيضا أنه قال: (لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل)[٤٠].

وقال أبو سعيد (هم خمس وعشرون قبيلة من وراء يأجوج ومأجوج لا يموت الرجل من هؤلاء ومن يأجوج ومأجوج حتى يخرج من صلبه ألف رجل)[٤١].

وقال عبد الله بن مسعود (سألت النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال ﷺ: يأجوج ومأجوجز أمتان كل أمة أربعمائة الف وكل أمة لا يعلم عدها إلا الله لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف

(٣٦) ينظر: في ظلال القرآن: ج١٦، ص١٤.
(٣٧) ينظر: دراسات إسلامية في التفسير والتاريخ، ص٢٢.
(٣٨) ينظر: الصحاح، الجوهري: ج١، ص٢٩٨.
(٣٩) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١، ص١٩٣، و فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ج٦، ص٤٧٣.
(٤٠) عمدة القاري، العيني: ج ١٥، ص٢٣٢.
(٤١) تفسير القرطبي: ج ١١، ص٥٦.

ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح)[٤٢].

وعن حذيفة بن اليمان قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه كل قد حمل السلاح[٤٣].

فهما قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشويه، منهم مفرط في الطول ومنهم مفرط في القصر قوم مفسدون بالقتل والسلب والنهب وسائر وجوه الشر قال المفسرون كانوا من أكلة لحوم البشر يخرجون في الربيع فلا يتركون اخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه[٤٤].

وهناك الكثير من الروايات الواردة عن الرسول ﷺ في وصف يأجوج ومأجوج منها الحديث المروي عن سفيان الثوري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها حبيبة عن زينب بنت جحش قالت: (أستيقظ الرسول ﷺ من نومه وهو محمر الوجه وهو يقول: ويل للعرب من شر قد أقترب وفتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بأصبعيه السبابة والابهام قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟. قال نعم وإذا كثر الخبيث)[٤٥].

وهذه الرؤيا قد مضى عليها (أكثر من ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن وقد وقعت أحداث جسام وأخطار على الأمة الإسلامية والعربية ووقعت غارات التتار بعدها ودمرت ملك العرب بتدمير بغداد على يد هولاكو عام (٦٥٦ هـ)، وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول ﷺ وعلم ذلك عند الله وكل ما تقوله ترجيح لا يقين)[٤٦].

والحقيقة إن يأجوج ومأجوج قبائل متوحشة غير متحضرة تفسد في الأرض ولا تعرف للقانون معنى فهم مفسدون

(٤٢) تفسير القرطبي: ج١، ص٥٧، وينظر: الدر المنثور: ج٤، ص٢٥٠، وينظر: قصص الأنبياء، للجزائري، ص١٨٠.
(٤٣) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٨، ص٦.
(٤٤) ينظر: صفوة التفاسير: ج٢، ص١٨٩.
(٤٥) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٦، ص٤٢٨.
(٤٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١٦، ص١٦.

في الأرض هكذا وصفهم الله تبارك وتعالى (وإفسادهم أختلف فيه العلماء فمنهم من يقول إفسادهم أكل بني آدم وقالت فرقة إفسادهم هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر والله أعلم)[٤٧].

وهناك أساطير حول يأجوج ومأجوج نتركها ونعتمد ما قاله القرآن الكريم والرسول العظيمﷺ.

المبحث الثامن:

الرحلات الثلاث وأسرارها

يبدأ الحديث عن ذي القرنين بقوله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ أي: (بسطنا يده فيها وقويناه «وآتيناه من كل شئ سببا» ومعناه علما يتسبب به إلى ما يريده في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك وابن جريج و «قيل آتيناه من كل شئ سببا» يعني ما يتوصل به إلى مراده. ويقال للطريق إلى الشئ سبب وللحبل سبب وللباب سبب «فاتبع سببا» أي سببا من الأسباب التي أوتي. ومن قرأ بقطع الهمزة أراد فلحق سببا، يقال ما زلت أتبعه حتى اتبعته أي لحقته. وقوله «فاتبع سببا» قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد: معناه طرقا من المشرق والمغرب وقيل معنى «وآتيناه من كل شئ سببا» ليستعين به على الملوك وفتح الفتوح، وقتل الاعداء في الحروب «فاتبع سببا» أي طريقا إلى ما أريد منه)[٤٨]، فقد مكن الله له في الأرض فأعطاه سلطاناً وطيد الدعائم ويسر له أسباب الحكم والفتح وأسباب البناء والعمران وأسباب السلطان والمتاع وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة[٤٩]، فأتبع سببا ومضى في وجه من يسر له وسلك طريقه إلى الغرب وقد فصل ذو القرنين إلى المغرب غازيا فاتحا محاربا مجاهدا لا يصادف في طريقه حزنا إلا سلكه ولا عاليا إلا ظهره ولا عدوا إلا كسر سلاحه وقص جناحه ولا

(٤٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١١، ص٥٦.

(٤٨) التبيان، الشيخ الطوسي: ج٧، ص٨٦.

(٤٩) ينظر: في ظلال القرآن: ج١٦، ص١٠.

يبالي في الجهاد الحر ولا القُر ولا السهل ولا الوعر، إذ كان الله تعالى قد مكن له في أرضه ورزقه الطاعة والانقياد في جنده وآتاه من كل شيء يحتاج إليه في توطيد ملكه سببا ومنحه في القتال حظا سعيدا وفتحا مبينا[٥٠]. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾، أي: موضع غروبها أنه انتهى إلى آخر العمارة من جانب المغرب، وبلغ قوما لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس، ولم يرد بذلك أنه بلغ إلى موضع الغروب، لأنه لا يصل إليه أحد[٥١].

أو هو بمعنى آخر (أن مغرب الشمس هو المكان الذي يرى الرائي أن الشمس تغرب وراء الأفق وهو يختلف بالنسبة للمواضع والظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي وكان يسمى بحر الظلمات ويظن أن اليابسة تنتهي عنده فرأى الشمس تغرب فيه)[٥٢].

و قوله تعالى: ﴿ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ ﴾ وإن كانت تغرب في ورائها، عن الجبائي، وأبي مسلم، والبلخي، لأن؛ الشمس لا تزايل الفلك، ولا تدخل عين الماء ولكن لما بلغ ذو القرنين ذلك الموضع، تراءى له كأن الشمس تغرب في عين، كما أن من كان في البحر رآها كأنها تغرب في الماء، ومن كان في البر يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء، والعين الحمئة: هي ذات الحمأة، وهي الطين الأسود المنتن، والحامية: الحارة، والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار حيث تكثر الأعشاب ويتجمع حولها طين لزج هو الحمأ وتوجد البرك وكأنها عيون الماء فرأى الشمس تغرب

(٥٠) ينظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار التربية -بغداد، ص٢٢٨

(٥١) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٣٨٠.

(٥٢) في ظلال القرآن: ج١٦، ص١١.

هناك[٥٣].

ولكن يتعذر علينا تحديد المكان لأن النص لا يحدده وليس لنا مصدر آخر موثوق به نعتمد عليه في تحديده وكل قول غير هذا ليس مأمونا لأنه لا يستند إلى مصدر صحيح فقد انتهى ذو القرنين إلى عين اختلط ماؤها وطينها فتراءى له أن الشمس تغرب فيها وتختفي وراءها وظن أنه ليس وراء هذه العين مكان للغزو ولا سبيل للجهاد ولكنه رأى عندها قوماً هاله كفرهم وكبر عليه ظلمهم وطغيانهم إذ كانوا قد عتوا في الأرض وأكثروا الفساد وسفكوا الدماء استجابة للشيطان وجريا وراء نوازع النفوس فاستخار الله في أمرهم وما يصنع بهم فخيره الله بين سبيلين يختار إحداهما ويسلك ما يريد منهما إما أن يذيقهم القتل ويوقع بهم النكال جزاء كفرهم وطغيانهم وإما أن يمهلهم ويدعوهم لعل منهم من يهتدي أو يرتدع فاختار ذو القرنين الإمهال على القتل والحسن على الإثخان[٥٤].

ثم قال تعالى: ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾، وهنا دلالة واضحة على (أن سكان آخر المغرب كانوا كفارا فخير الله ذا القرنين فيهم بين التعذيب لهم إن أقاموا على كفرهم وبين المن عليهم والعفو عنهم وهذا التخيير على معنى الإجتهاد في أصلح الأمرين وقال الأكثرون: هذا التعذيب هو القتل... وأما اتخاذ الحسنى فيهم فهو تركهم أحياء)[٥٥]، لذلك أقام فيهم مدة ضرب على يد الظالم ونصر المظلوم وأخذ بيد الضعيف وأقام عمود العدل ونشر لواء الإصلاح، ذو القرنين أعلن دستوره في معاملة البلاد المفتوحة التي دان له أهلها وسلطه الله عليها أعلن أن للمعتدين الظالمين عذابه الدنيوي وعقابه وأنهم بعد ذلك يردون إلى ربهم

(٥٣) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٣٨٠.

(٥٤) ينظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم: ص٢٣١.

(٥٥) تفسير الرازي، الرازي: ج٢١، ص١٦٧.

فيعذبهم عذابا فضيعا (نكرا) لا نظير له فيما يعرفه البشر أما المؤمنون الصالحون فلهم الجزاء الحسن والمعاملة الطيبة والتكريم والمعونة والتيسير[٥٦].

من هذه الرحلة المباركة لذي القرنين نستفيد درساً في معاملة الأرض المفتوحة وهو الإصلاح والعمران والإنتاج ومسلك العفو والمعروف مع الناس وضرب الظلم والاعتداء واحترام الناس المصلحين والعاملين ومعاقبة الظالمين والمجرمين.

فقد بلغ ذو القرنين مغرب الشمس في رحلته الأولى ومشرقها في رحلته الثانية والمنطقة المتوسطة بين السدين في رحلته الثالثة[٥٧].

وفي الرحلة الأولى (الرحلة الغربية) كان ذو القرنين الفاتح المصلح الذي يدعوا إلى الله تعالى بالحسنى وفي رحلته الشرقية وجد الشمس تطلع على قوم لا ستر لهم دونها فربما أفاد هذا أن القوم كانوا عراة وربما أشار إلى أن أرضهم مكشوفة تطلع الشمس عليهم بها بلا ساتر وليس في النص ما يقطع بأسماء القوم ولا باسم الأرض التي كانوا فيها ينزلون[٥٨]. لقد مكن الله لذي القرنين وكان موفقا في رحلته الأولى ثم سار موفقا نحو الشرق ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا﴾.

المقصود هو (الموضع الذي تطلع منه مما ليس وراءه أحد من الناس فوجد الشمس «تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا» اي انه لم يكن بتلك الأرض جبل ولا شجر، ولا بناء، لان أرضهم لم يكن يبنى عليها بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم يغورون في المياه والاسراب، وإذا غربت تصرفوا في أمورهم -في قول الحسن وقتادة وابن جريج -وقال قتادة هي الزنج)[٥٩]. لم يحدد القرآن الكريم مكان

(٥٦) ينظر: في ظلال القرآن: ج١٦، ص١٤، وينظر: صفوة التفاسير: ج ٣ ص١٨٨.
(٥٧) ينظر تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١٣، ص٣٨٨.
(٥٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٢٤.
(٥٩) التبيان، الشيخ الطوسي: ج٧، ص٨٨.

ومطلع الشمس، ولكنه وصفها بأنها أرض مكشوفة لا تحجبها عن الشمس مرتفعات ولا أشجار فالشمس تطلع على القوم فيها حين تطلع بلا ساتر وهذا الوصف ينطبق على الصحاري والسهوب الواسعة وتحيل أن القوم كان عراة الأجسام لم يجعل لهم سترا من الشمس[٦٠].

وكانوا على حال من الفوضى ونصيب من الجهل فبسط على بلادهم لواء حكمه وأضاء عليهم بنور علمه ورأيه[٦١].

والمفهوم من ظاهر النص القرآني أن ذا القرنين إتجه في رحلته الثانية شرقا فوجد شعبا مسالما يعيش في العراء لا يرتدي أفراده ملابس كثيرة ربما لأن الشمس في بلادهم قوية أو لأنهم قوم بسطاء فتركهم ذو القرنين وشأنهم بطريقة حياتهم، وهذا ما يفهم من كلمة (كذلك) في الآية الكريمة إذ تدل على أنه (تركهم كذلك) بل وأعتبرهم من رعاياه وليسوا من أعدائه وأخذ عنهم بعض مناحي حياتهم ويبدو أن بعض أتباعه لم يفهموا سر تصرفه هذا ولكن الله تعالى يؤيده في كل رحلاته[٦٢].

إن اتجاه الرحلة الثانية هو الشرق بالنسبة لبلاد الإغريق وهناك أسباب قوية تدعوا إلى اعتبار هذا الاتجاه هو الجنوب الشرقي أي نحو مصر التي زارها ذو القرنين وكان المصريون حينئذ فقراء تعساء تحت السيطرة الفارسية وقد عاملهم ذو القرنين معاملة حسنة وتركهم لمؤسساتهم المحلية ولم يرفع عليهم سيفا بل أخذ ببعض أساليب الثقافة المصرية العريقة وهنا يريد ذو القرنين أن يثبت أن هدفه ليس المجد الشخصي أو إذلال الشعوب بالقوة الغاشمة وإنما أن يعيش ويترك غيره يعيش أي أن المثل الأعلى الذي يحركه في حملته هو إرضاء الله وليس مجرد السيطرة وهذا هو الفرق بين الفاتحين الربانيين والطغاة المحتلين.

(٦٠) ينظر: في ظلال القرآن: ج١٦، ص١١.
(٦١) ينظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم: ص٢٣٢.
(٦٢) ينظر: دراسات إسلامية في التفسير والتاريخ، محمد العزب موسى: ص٢١.

الرحلة الثالثة: فهي الرحلة المتوسطة بين السدين فكل ما فيها يدعو إلى الرهبة الشديدة التي يفوق الشعور بها أحيانا شعور التهيب لدى مواجهة الغيب وأسراره فالقرآن هنا يذكر موضعا بعينه يسميه بين السدين مثلما يذكر قوما بأعيانهم يسميهم يأجوج ومأجوج ويصفهم بالإفساد في الأرض وما نظن هذه الألوان من الغموض إلا مقصودة في هذا السياق(٦٣).

إن حديث القرآن عن ذي القرنين لا يشبه حديث كتاب في السيرة عن الفتوحات التي أتمها فاتح عظيم وإنما يرسم القرآن في غضون هذه الرحلات الثلاث ملامح إنسان شديد الصلة بالله لم يكن سلطانه بقوته الشخصية بل مكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سببا وهتف به كما يريد في الملمات ليوجهه أفضل الوجهات حتى قال له عند العين الحمئة ﴿ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [سورة الكهف: ٨٦].

وتبدو صلته بالله شديدة وثقى في قوله للقوم عند بناء السد ﴿ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى ﴾ ثم قوله عند انتهاء بناء السد ﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ [سورة الكهف: ٩٨].

ونستطيع القول بأن قصة ذي القرنين هي إتمام لسنة إلهية محكمة، وهي أن تغيير الواقع أمر لا عسر فيه إذا كان هناك جيل قادر على الأخذ بزمام المبادرة مع تقدير الأمور قدرها في ضوء الظروف المتاحة، وليس بعد ذلك إلا عون الله وتوفيقه مادامت نية الإصلاح متحققة، وأن فكرة المنقذ ما زالت تسيطر على هؤلاء القوم المستضعفين، فالكل يرنو إلى المنقذ، مع أن كل واحد منهم منقذ في موقعه إذا صلح وأصلح.

فهؤلاء القوم المستضعفون الذين كانوا دون السدين، لم يقدروا على تغيير واقعهم المرير، الذي ذاقوا فيه الويل والثبور على يد يأجوج ومأجوج، فقد ظلوا ينتظرون المنقذ لهم من شرهم، حتى جاءهم ذو القرنين، وأغلب الظن أن الأوامر التي وجهها ذو القرنين

(٦٣) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١٣، ص٣٨٩.

لهؤلاء القوم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [سورة الكهف: ٩٥] كانت بمثابة تحريك لهمهم وتحفيزًا وإشراكهم في تغيير هذا الواقع؛ ليعلموا أن هذا التغيير كان بمقدورهم وبين أيديهم مقوماته، بيد أنهم لم يلتفتوا إليها، وظلوا ينتظرون من يلفتهم إليها ويشعرهم بوجودها، مع أنها موجودة كل يوم، وأغلب الظن أن هذه الأوامر تحمل في طياتها نعيًا عليهم؛ لأنهم ظلوا قابعين تحت وطأة هذا الواقع، ولم يحاولوا أن يغيروه بما في أيديهم من وسائل وإمكانات[٦٤].

وبذلك تنتهي قصة ذي القرنين، (الملك العظيم فقد كان مؤمنا بالله بدين التوحيد عادلا في رعيته سائرا بالرأفة والرفق والإحسان سائسا لأهل الظلم والعدوان، وقد آتاه الله من كل شئ سببا فجمع بين الدين والعقل وفضائل الأخلاق والعدة والقوة والثروة والشوكة ومطاوعة الأسباب)[٦٥]، فهو الأنموذج الطيّب للحاكم الصّالح، فقد مكّنه الله في الأرض، ويسَّر له الأسباب، فاجتاح الأرض شرقًا وغربًا، ولكنّه لم يتجبَّر ولم يطغَ، ولم يتّخذ من الفتوح وسيلة لاستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولم يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، فقد كان فاتحا عظيما داعيا إلى الله العلي القدير، فقد نشر العدل في كل مكان حل به وساعد المتخلفين ودرأ عنهم العدوان دون مقابل واستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح ودفع العدوان وإحقاق الحق، وكل خير حققه الله على يديه أرجعه إلى رحمة الله وفضله وحوله، ولم ينسَ وهو في عز سطوته قدرة الله وجبروته وإنه راجع إلى الله[٦٦]. فهو (عبد أحب الله فأحبه، طوى له الأسباب وملكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان

(٦٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج٩، ص٣٦٣.

(٦٥) الميزان، السيد الطباطبائي: ج١٣، ص٣٩١.

(٦٦) ينظر: في ظلال القرآن: ج١٦، ص١٤-١٥.

يقول بالحق ويعمل به)[٦٧].

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في رحاب القرآن الكريم وفي مجال السرد القصصي وفي قصة ذي القرنين نفيد وعلى الجملة:

أولا: أنه حينما يسرد قصة ذي القرنين لم يتعرض إلى تفاصيل حياته، بل اكتفى بذكر ثلاث رحلات منه، كما أن العبرة في هذه القصة تتحقق دون الحاجة إلى تحديد الزمان والمكان، كما هو سائر في معظم قصص القرآن الكريم، فرحلة أولى إلى المغرب حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة (أو حامية) ووجد عندها قوما، ورحلة ثانية إلى المشرق حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم يجعل الله لهم من دونها سترا، لم يتدخل في شؤون القوم الذين ليس لهم ستر من الشمس بل وجدهم شعبا ضعيفا فساعدهم وعفا عنهم، ورحله ثالثة حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا.

مساعدته قوم الرحلة الثالثة في إقامة سد بينهم وبين أعدائهم دون أن يتقاضى على ذلك خرجا، وهي شكوى القوم إليه إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض وعرضوا عليه أن يجعلوا له خرجا على أن يجعل بين القوم وبين يأجوج ومأجوج سدا فأجابهم إلى بناء السد ووعدهم أن يبني لهم ردما وهو أكبر من السد، ولم يأخذ منهم مقابلاً، وإنما طلب منهم أن يعينوه بقوة، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [سورة الكهف: ٩٥-٩٦].

ثانيا: أنه كان مؤمنا بالله واليوم الآخر كما يظهر من قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [سورة الكهف: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [سورة

(٦٧) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، الحاج حسين الشاكري (معاصر): ج١٠، ص٩٨.

الكهف: ٨٧]، كما أنه كان مسددا من الله تعالى ومؤيداً بوحي أو إلهام أو نبي من أنبياء الله كان عنده يوجهه بتبليغ الوحي، وقوله تعالى يشير إلى ذلك: ﴿قُلْنَا يَذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [سورة الكهف: ٨٦].

ثالثا: الدروس الرئيسة من القصة،: إن الرحلات الثلاث التي قام بها ذو القرنين والمذكورة في سورة الكهف تدل جميعا على هذا المثل الأعلى إن القوة يجب أن تستخدم في إرضاء الله وفي خدمة الإنسان وليس في الطغيان والجبروت وما يسمى بحق الفتح إنما هو فتح للخير والسلام والدفاع عن المظلومين فمنها:

١. القيادة الصالحة في عمل الخير والإصلاح ومحاربة الفساد، ووضع حواجز بين المفسدين والمجتمع، وأخذ المشورة لأن؛ مبدأ الشورى وسيلة للوصول إلى الحكم الصحيح، ففيه السماح بإبداء الرأي من أهل العلم والاختصاص.

٢. مساعدة الضعفاء وتفقد أحوالهم، فقد طلبوا سدا فبنى لهم وشاركهم فيه بنفسه.

٣. من أخلاق الحاكم أن يتحلى بصفات الصبر والحلم والأناة، ورفع الحواجز بينه وبين الأفراد من المجتمع وإشعارهم بأنه واحد منهم.

٤. من سلاح القادة المنصفين في الحكم أن يتحلوا بالعلم والمعرفة، فذو القرنين كان له علم بمعارف عديدة منها: العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية. ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [سورة الكهف: ٩٥-٩٦].

٥. التوكل على الله في كل شيء وربط الأعمال كلها بمشيئة تعالى، وفي ذلك إشارة في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [سورة الكهف: ٩٨].

وخلاصة الكلام أن السورة تحتوي على مفاهيم تربوية مؤثرة في جميع الأحوال.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح -الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م.
- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د حفني محمد شرف، الكتاب الرابع -١٩٧٠م.
- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المصدر: المجلس العلمي -سحاب محمد.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٧م -١٤٢٨هـ، بيروت -لبنان.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية -لبنان/ بيروت-١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.
- البداية والنهاية، ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨ -١٩٨٨ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، الطبعة الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٣-١٩٨٣م، المطبعة: لبنان -دار الكتاب العربي، الناشر: دار الكتاب العربي.
- التصور الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت.
- التعبير الفني في القرآن الكريم، بكري الشيخ أمين، دار الفكر الجامعي، ٢٠١٣م.
- تفسير البيضاوي، البيضاوي (ت ٦٨٢هـ) المطبعة: بيروت -دار الفكر، الناشر: دار الفكر.
- تفسير الجلالين، المحلي، السيوطي (ت ٨٦٤هـ) تحقيق: تقديم ومراجعة: مروان سوار، الناشر: دار

المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت -لبنان.

- تفسير الثعالبي، الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) تحقيق: الدكتور عبد الفتاح أبو سنة -الشيخ علي محمد معوض- والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨، المطبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت-لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧٧٤)، تحقيق: تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، سنة الطبع: ١٤١٢-١٩٩٢ م، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
- تفسير الرازي، الرازي(ت ٦٠٦هـ) الطبعة: الثالثة.
- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٤ -٢٠٠٣م، المطبعة: لبنان/ بيروت -دار الكتب العلمية، الناشر: دار الكتب العلمية.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: تقديم: الشيخ خليل الميس/ ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، سنة الطبع: ٤١٥ -١٩٩٥ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت -لبنان.
- الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، دار إحياء التراث العربي -بيروت.
- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ) تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعة: الأولى، كاملة محققة، سنة الطبع: ذي الحجة ١٤٠٩، المطبعة: العلمية -قم، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي -قم المقدسة.
- الخصال، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) تحقيق: تصحيح وتعليق:

علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣-١٣٦٢ ش، الناشر: منشورات جماعة المدرسين، قم.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، الناشر (محمد أمين دمج) بيروت.
- دراسات إسلامية في التفسير والتاريخ، محمد العزب موسى، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ١٩٨٠م.
- سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٤-١٩٩٣ م، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان.
- السيرة الحلبية، الحلبي (ت ١٠٤٤هـ)، سنة الطبع: ١٤٠٠، المطبعة: بيروت -دار المعرفة، الناشر: دار المعرفة.
- الصافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) الطبعة: الثانية، سنة الطبع: رمضان ١٤١٦ -١٣٧٤ ش، المطبعة: مؤسسة الهادي -قم المقدسة، الناشر: مكتبة الصدر- طهران.
- الصحاح، الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة: الرابعة سنة الطبع: ١٤٠٧ -١٩٨٧ م، الناشر: دار العلم للملايين -بيروت -لبنان، ملاحظات: الطبعة الأولى ١٣٧٦-١٩٥٦ م -القاهرة.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع -القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.
- عمدة القاري، العيني(ت ٨٥٥هـ) المطبعة: بيروت -دار إحياء التراث العربي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
- الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي (ت٢٨٣هـ) تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي.

- فتح القدير، الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) المطبعة: عالم الكتب، الناشر: عالم الكتب.
- الفن القصصي، محمد أحمد خلف الله، مكتبة النهضة.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط١، دار إحياء الكتب العربية -البابي الحلبي.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (ت ١٠٣١هـ) تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام
- الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥-١٩٩٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- القرآن والقصة الحديثة، محمد كامل حسن، دار البحوث العلمية-بيروت.
- قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، دار الجيل-بيروت.
- قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل-بيروت.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) سنة الطبع: ١٣٨٥ هـ -١٩٦٦ م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء العلوم -بيروت
- لسان العرب، أبن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي.
- مجمع الزوائد، الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ١٤٠٨ -١٩٨٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت.
- المعجزة الكبرى القرآن الكريم، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.